لقاءٌ مع الشَّاعِر الفلسطينيِّ الكَبير شَفيق حَبيب

- حاتم جوعيه

مقدمةٌ وتعريفٌ

البطاقةُ الشخصيَّة:

الشاعرُ الكبيرُ والمُخضرمُ الأستاذ "شفيق حبيب" من سكانِ قرية "دير- حنا الجليليّة"، عمره ٧٠ سنة (مواليد عام ١٩٤١) أنهى دراسَتهُ الابتدائيَّة في قريتهِ "دير حنا" والثانوية في "المدرسة الثانوية البلدية" بالناصرة... دَرَسَ بعد ذلك موضوعَ المحاسبة مدة ثلاث سنوات في كلية "بيت هبكيد" بحيفا- حصل أيضًا على دبلوم الصحافةِ والعلاقاتِ العامَّةِ وتحرير الأخبار من "المعاهد البريطانية" في القدس،عملَ في سلكِ التعليم لفترةٍ قصيرةٍ وأعفيَ أو بالأحرى فُصِلَ من وظيفةِ التدريسِ من قِبلِ الحاكمِ العسكري سنة ١٩٦١ بسببِ مواقِفهِ السياسيَّةِ المُلتزمةِ وقصائدهِ الوطنيَّةِ الحماسيَّةِ وعدم تأليف قصيدة ابتهاجا بيوم الاستقلال، وعملَ بعد ذلك موظفًا في البنكِ العربي الإسرائيلي لفترةٍ قصيرةٍ أيضًا- في مدينةِ شفا عمرو- ولاقى هناك نفسَ المصيرِ حيث فصِلَ من وظيفتِهِ بطلبٍ من الحاكمِ العسكري نفسه

الذي كان مكتبهُ في شفا عمرو وعملَ بعد ذلك في مكتبِ حساباتٍ خاص بحيفا واشتغلَ في عدَّةِ مكاتبِ محاسَبةٍ مستقلةٍ (غير حكومية)- حتى استقرَّ به المقامُ في "شركةِ الناصرةِ للسياحةِ المحدودة- "العفيفي" منذ عام ١٩٦٤... وما زالَ حتى الآن يعملُ في نفس الشركة.

ويُعتبرُ الشاعرُ القديرُ "شفيق حبيب" من أوائل الشعراءِ الوطنيين الملتزمين والمبدعين محلياً ووصَلتْ شهرتهُ خارجَ البلادِ ولحّنوا وغنوْا لهُ العديدَ من القصائد في الدول العربية...

وكان لنا مَعهُ في بيته هذا اللقاء الخاص والممتع:-

- الأستاذُ الشاعرُ "شفيق حبيب" اسمٌ كبيرٌ ومعروفٌ.. أشهرُ من نارٍ على علم ... كيفَ تقدِّمُ نفسَكَ لجمهورِ القرَّاء؟؟

- أنا شاعرٌ خرجَ من صفوفِ الشعبِ حيث التزمتُ بقضايا شعبنا الجماهيريَّة والسياسية والاجتماعية، واعتليتُ من أجلِ ذلك عشرات المنابر من جنوب البلاد حتى شمالها مدافعًا عن حقوقِ الفلسطينيّ في هذه البلاد... تناوَلتُ في قصائِدي تاريخَ الشعبِ الفلسطيني - محليًّا وخارجيًّا - في جميعِ دواويني فكنتُ أتناولُ جميع الأحداث في قصائدي ولو عُدنا إلى دواويني الخمسة عشر (١٥) لتجلى لنا تاريخُ بطولات ومعاناةِ هذا الشعب: كمقارعة الحكم العسكري الجائر ويوم الأرض وأحداث بيروت

الداميةِ في الثمانينيات - وأحداث الانتفاضة وهدم البيوت ومصادرات الأراضي وأزمة السكن- وقد صُودِرَ ديواني "العودة إلى الآتي" وحُوكِمتُ وسُجنتُ جرَّاءَ كتاباتِي.

• حَدِّثنا عن مسيرتِكَ الشعريَّةِ منذ البدايةِ إلى الآن... وأهمّ المحطاتِ في هذه المسيرةِ؟؟

- بدأ حُبِّي للشعرِ منذ مراحل الدراسةِ الابتدائية في قريتي "دير حنا" الجليلية- حيث كنتُ أكتبُ كلامًا نثريًّا أظنهُ شعرًا... ولم أكن أعرفْ أنَّ للشعرِ بحورًا وقوانين تضبطهُ...ازدادتْ محبتي للشعرِ وشغفي وهيامي بهِ أثناءَ دراستي الثانوية بالناصرةِ حيث كنتُ أقدِّمُ موضوعَ الإنشاءِ أحيانًا شعرًا، فكان يكتبُ لي أستاذُ اللغةِ العربيةِ- المرحوم "حبيب حزان":

(سيكونُ لكَ مستقبلٌ في دنيا الشعر يا شفيق!).

وفي المراحل الأخيرةِ من دراستي الثانويةِ بدأتُ أنشرُ قصائدي الغزليَّةَ في جريدةِ "اليوم" حيث لم تكنْ جريدةُ "الاتحاد" الشيوعية تنشرُ شعرَ المبتدئين واللاحزبيين، وقد أخذَ بيدِنا نحن الشباب في ذلك الوقت المحرِّرُ الأدبي في جريدةِ "اليوم" والذي لم أنسَهُ، الأستاذ "المرحوم مئير حداد" (يهودي عراقي)- ولهذا المُحَرِّرِ أفضال على معظمِ شعرائِنا المحليين - "لا يذكره أحد اليوم"- حيث كان يكتبُ لنا ملاحظاته على القصائد غير القابلةِ للنشر... ممَّا كان يدفعُنا إلى مراجعةِ نتاجنا الغضّ والتقدمِ في دنيا الشعرِ.

أوّلُ ديوانٍ أصدرتهُ "قناديل وغربان" عام ١٩٧٢ وقد أصدرَتهُ (على حسابي) بواسطة "مجلة الشرق" للدكتور الزميل "محمود عباسي"... إنَّ مؤلفاتي الستة عشر نشرتها على حسابي الخاص- بالإضافةِ إلى ديواني المذكور- دونَ مساعدةِ أيِّ دارِ نشرٍ، وكانَ مديرُ دائرةِ الثقافةِ العربيةِ الأستاذ "موفق خوري" هو الذي يشتري من بعض ما أصْدِرُهُ حوالي مئة نسخة (١٠٠) إذ كان يُوزِّعُهَا على المكتباتِ العامَّةِ في الوسطِ العربي وعندما أصبَحَ "غالب مجادله" وزيرًا للعلومِ والرياضةِ أقفرَت السوقُ الأدبية على مدى تسَلمِهِ منصبَه هذا (حوالي أربع سنوات) فلمْ نرَ كتابًا واحدا صدرَ من قبلِ هذه الدائرة، فالمكتباتُ العموميَّةُ العربيَّةُ التابعة للمجالس المحليَّةِ تدينُ بالكثيرِ لمديرِ دائرةِ الثقافةِ العربيةِ الأستاذ "موفق خوري"... هذا بالإضافةِ إلى الكثيرِ من الكتابِ والشعراءِ المبدعين المحليين الذين خرجت كتاباتهُم ومؤلفاتهُم للنور وتعَدُّ بالمئات بفضلِ دائرةِ الثقافةِ العربية وبفضلِ رئيسِهَا موفق خوري... وشعريًّا ما زلتُ أعطي ومُسْتمِرًّا في الكتابةِ ما استطعتُ إلى ذلك سبيلا..

• المواضيعُ والقضايا والأمورُ التي تعالجُهَا في كتاباتِكَ؟؟

- في بدايةِ حياتي الأدبيَّةِ، ككلِّ الشعراءِ، كتبتُ الشعرَ الغزليّ والوصف والمناسبات الشخصيّة....وبعد ذلك اتجهتُ إلى الشعرِ السياسي الذي ما زلتُ أكتبهُ حتى اليوم متفاعلاً مع الحدث،

كذلك فإنني أعالجُ مناسبات أخرى كرثاءِ الزملاءِ الأدباء مثل: إميل حبيبي ومحمود درويش وحبيب زيدان شويري وشكيب جهشان وميشيل حداد وفوزي جريس عبد الله وأحمد طاهر يونس وغيرهم... وأكتب أحيانًا متناولاً القضايا العائلية كمناسبات الأفراحِ للأبناء والبنات... الخ.. كذلك رُبَّما أكونُ أكثرَ شاعرٍ محليٍّ تناولَ القضايا الدرزيَّة.. فأنا تناولتُ بشعري المرحومَ عطوفة سلطان باشا الأطرش قائد الثورة السورية العربية الكبرى.ورثيتُ المرحومة "غالية فرحات"، شهيدة الجولان المحتل... وذكرتُ كتابَ الحكمةِ للدروز في النشيدِ المدرسيِّ الذي ألفتهُ للمدرسةِ الزراعيَّةِ في قريةِ الرامة. كتبتُ كذلك للصديق سعادة القاضي الدرزي المتقاعد فارس فلاح، فقلتُ له:

قاضٍ لـه في الحقِّ صَولةُ فارسٍ لا يبتغي نهجًا سِوى الإصلاحِ
ساءَلتُ عن قصرِ العدالةِ سامقًا قالوا بَناهُ فارسُ بنُ فلاحِ

البيتان أعلاه تصدَّرا كتاب سعادة القاضي: "دواليب الحياة – مذكرات" الصادر عام ٢٠٠٥.

• أنتَ تكتبُ شعرَ التفعيلةِ الموزون والشعرَ التقليدي الكلاسيكي- الموزون والمُقفى- في أيٍّ منهما تجدُ نفسَكَ أكثر وتستطيعُ التعبيرَ عن نفسِكَ ومشاعِركَ ولواعِجكَ الذاتيَّةِ بشكلٍ أوسع وبحُرِّيَّةٍ وانسيابٍ؟؟

- إنَّ من يُجيدُ الكتابةَ على بحورِ الخليل بن أحمد الفراهيدي لا تكونُ كتابةُ شعرِ التفعيلةِ عائقًا أمامَ انطلاقتهِ الشعريَّةِ... أنا شخصيًّا قبلَ كتابةِ القصيدةِ لا أقرِّرُ على أيَّةِ طريقةٍ أكتبُهَا... بل هي "القصيدة" تفرضُ نفسَها حيث يكونُ الشاعرُ منشغلا في إيحاءاتِ القصيدة ومراميها غيرَ عابئٍ بأيِّ نوعٍ وقالبٍ يكتبُهَا.. فالقصيدةُ لا تأخُذُ رونقهَا من شكلِها... وإنما من الدهشةِ التي تصعقُ المُتلقي... وأحيانا كثيرة يرتقي بعضُ النثر إلى مستوى ومصافِّ الشعر وقد دعاهُ البعضُ بالشعرِ المنثور... ومن ذلك كتابات جبران خليل جبران والرابطة القلمية في المهجر وبعض الكتابات الحديثة حيث لا تتخذُ الكلمةُ في هذا النوع من الكتابةِ معناها القاموسي، بل تحلقُ في سماواتٍ أخرى.

• ما رأيُكَ في مستوى الشعرِ والأدبِ المحلي؟؟

- حاليًّا الشعرُ المحلي على أدنى سُلمِ الأدب... فالجيلُ اللاحق لا يصلُ إلى خاصرةِ السابقِ... وعندما أقرأ ما يُنشرُ أسبوعيًّا على صفحاتِ الصحف المحلية لا أجدُ ما يشدُّني ويبهرني ويُحَلق بي

إلى عوالم أخرى كما كنا في سنوات الستينيات والسبعينيات فكانت القصيدةُ آنذاك محطَ أنظارِ وانتظارَ الجميع... وهذا الأمرُ غيرُ موجودٍ حاليًا بسببِ هذا الإسهالِ الكلامي الذي تسمحُ بهِ الصحفُ ووسائلُ الإعلام دون رقيبٍ ودونَ ضوابط أو حدودٍ... فكلُّ مَنْ يخطّ بعضَ الكلماتِ أصبح شاعرًا أو قاصًّا في حين أنه لا يجيدُ اللغةَ العربية - صرفها ونحوها- ولا يُمَيّزُ بين التاءِ المربوطةِ والتاءِ المفتوحةِ والألف الممدودة وأختها المقصورة. فالأدبُ المحلي مصَابٌ "بالضمور". فأينَ زمنُ "محمود درويش وراشد حسين وسميح القاسم وتوفيق زياد وحنا أبو حنا وفوزي عبد الله وشكيب جهشان وشفيق حبيب وحنا إبراهيم الياس ومنيب مخول وجمال قعوار وعطا الله جبر وإدمون شحاده وعصام العباسي وفاروق مواسي وحسين مهنا ومحمود الدسوقي ومصطفى مراد واحمد طاهر يونس وسميح صباغ وسالم جبران وسلمان دغش وسليمان دغش والدكتور سليم مخولي ونزيه خير ومؤيد إبراهيم.... إلخ.

لقد أقِيمَ في الماضي "اتحادُ الكتابِ العرب" وَ "رابطة الكتاب الفلسطينيين" ولم يكنْ هنالك أيُّ تقييداتٍ وحساباتٍ بالنسبةِ لِسِنِّ الأديبِ أو الشاعر... بينما الأمرُ الممجوجُ حاليًا "تحديد السن"، وهو أمرٌ غيرُ مقبولٍ عليَّ، وهذا ما يشترطه ما يسَمَّى باتحادِ كُتابٍ ظهَر جديدًا على الشاشةِ يُطلقُ عليهِ اسم "اتحاد

الكتاب العرب"، فهناك تقييداتِ على الشخصِ الذي يَودُّ الانضمامَ إلى هذا الاتحاد.. "من حيث الأعمار لا من حيث الإبداع والقيمة الأدبيَّة"!!!... أي على الشخصِ المنتسبِ أن يكون عمرُهُ أقلَّ من ٤٥ سنة!!!! وربما ممارسة الكراتيه أو سباق الدراجات وركوب الخيول والحناطير مستقبلاً.

• رأيُكَ في الحركةِ النقديَّةِ المحلية وهلْ عندنا نقدٌ محليٌّ موضوعيٌّ على مستوى أكاديمي كما هو النقد في الدول العربية؟؟

- النقدُ المحلي لدينا هو نقدٌ ذوقيٌّ أكثر من كونهِ نقدًا أكاديميًّا وعلميًا، عندنا نقادٌ أكاديميون ذوو كفاءة، أقرأ لهم وأستمعُ إليهم كما كان في كليَّةِ القاسمي بباقه الغربية قبل أشهر... ولكن ليس لهذا النقدِ أي تقييمٍ محلي سوى بين النقادِ أنفسهم -النقد الأكاديمي-... أما النقدُ الذوقي ففرسانهُ كثيرون عندنا وبعضُهم يُجلي أحيانًا والبعض الآخر يسقطُ على قارعةِ دروبِ النقد.

• أنتَ قبلَ أكثر من ربعِ قرنٍ "٢٥ سنة تقريبًا" تعرَّضتَ لنقدٍ بل لهجوٍ عنيفٍ مبيَّت له من قبلِ أحدِ النقاد المحليِّين وقد نشرَ مقالتهُ آنذاك في مجلةِ "البيادر" المقدسيّة... ما هو تعقيبُكَ على هذا النقدِ... ولماذا هُوجمتَ بهذا الشكلِ العنيف!!؟؟

- لقد رَدَدْتُ في حينهِ ردًّا حازمًا حاسمًا على هذا النقدِ الفظ المشبوه وَفندْتُ إدعاءات هذا الناقد في حينِهِ... وهذه محطةٌ مُعْتَمَةٌ في مسيرةِ هذا الناقدِ (دون ذكر أسماء)... سامحهُ الله...

- ما رأيكَ في الصحافةِ المحليَّةِ جميعها على مختلفِ أنواعها "صحف، مجلات ومواقع إنترنت.. الخ"... وهل هي نزيهة وتقومُ بواجبهَا الإعلامي وبتغطيةِ جميعِ النشاطاتِ والفعاليَّاتِ الأدبيَّةِ والثقافيّةِ بنزاهةٍ وأمانةٍ... أم ماذا؟؟... وما حظكَ أنتَ من الصحافةِ والإعلام المحلي وتغطيةِ أخبارِكَ ونشاطاتِكَ الأدبية والثقافية؟؟

- الصحافةُ المحليةُ معظمها صحفٌ تجاريَّة تعتمدُ في تمويلهَا على الواردات الإعلانية... وبدون ذلك لا يُمكِنُ لها أن تعيشَ وتستمرَّ، فالمحرر يحذف قصيدة ما قبل الطبع لصالح إعلان أحذية أو ملحمة من أجل المردود المادّي، ونستثني من ذلك صحيفة "الاتحاد" الحيفاوية التي تنتمي للحزب الشيوعي الإسرائيلي فهي صحيفة تنتمي لحزب ذي إمكانيات وميزانيات وتوجيهات مبدئية أخرى أما باقي المواقع الإلكترونية فهي تقومُ بواجبها من حيث تغطية الحَدث المحلي السياسي والأدبي والاجتماعي والفني. إن جميعَ الصحف والمواقع الالكترونية المحلية مشكورة.. وأنا مدينٌ لها بتغطية أخباري الثقافيةِ منها والأدبية أو إصدارات الكتب.... الخ.

• أنتَ شاعرٌ مُخضرم حققتَ شهرةً كبيرةً وواسعةً محليًّا وخارجَ البلاد... كيف وصلتَ إلى كلّ هذه الشهرة!!؟؟

- إن مواصلتي نشاطيَ والتزاميَ الأدبيّ هي التي أوصلتني إلى الجماهيريةِ والشهرةِ التي عليها أنا الآن محليًّا وخارجيًّا... والتزامي بخطٍّ سياسيٍّ ثابتٍ دونَ مواربةٍ باعتمادِ الكلمة الصحيحةِ الثاقبة التي تختزلُ المسافات بيني وبين المتلقي... فكلما أصدرتُ كتابًا يتناولهُ بعضُ نقادِنا المحليين وكذلك بعضُ النقادِ في الخارجِ.... وبهذا يتمُّ التعرُّفُ عليَّ وعلى نتاجي الكتابي، وكذلك مشاركاتي في بعضِ النشاطاتِ الأدبية هنا (محليًا) وفي الضفةِ الغربية.... وقبل سنوات في مصر، كانت سببًا في تعرُّفِ الجماهير هنا وهناك على نتاجي الأدبي من خلال اشتراكي في ندوات محلية أو الاشتراك في شهر الكتاب بالقاهرة.

• النقادُ الذين كتبوا عنكَ: محليًّا وخارج البلاد؟؟

- النقادُ المحليُّون الذين تناولوُا شعري هم كثرٌ أذكرُ منهم: الدكتور "بطرس دله" وأنتَ: "حاتم جوعيه" والدكتور "منير توما" والدكتور "فاروق مواسي" والدكتور نادي ساري الديك والناقد "نور عامر" "والناقد شاكر فريد حسن" "والناقد الصحفي نبيل عودة" "والناقدة دالية بشارة" "والناقد محمد

علوش" والشاعر العروضي محمود مرعي... وفي الخارج كانت هنالك دراساتٌ مكثفةٌ ومُطولةٌ لدواويني الشعريَّةِ قامَ بها "الدكتور يحيى زكريا الآغا"– الملحق الثقافي سابقًا في سفارةِ فلسطين بقطر وكتبَ عني أيضًا الناقدُ السوري/الفلسطيني الأستاذ "طلعت سقيرق".... وغيرهم..

• لقد لحَّنوُا لكَ العديدَ من قصائِدكَ وغنوها خارج البلاد.. < في الدول العربية>، وخاصَّةً قصيدتكَ الشهيرة "بيروت والدّمُ والصمود" حيث غنتها "فرقة العاشقين" الفلسطينية.. كيف وصَلتْ قصيدتك إليهم واختاروها للتلحين؟؟

-يبدو أنَّ هذه القصيدة قد وصَلتْ إلى الخارج عبر وسائل الإعلام وأعجبُوا بها فقاموا بتلحينها وغنائها... من قبلِ فرقةِ العاشقين المشهورة عربيًا وعالميًا < لم أستمع إليها > وأذكر أن أحد المطربين الذي شاركَ في مسابقةِ برنامج "نيو ستار" وكان من الفائزين الأوائل فيهِ قد غنَّى قصيدةً لي بعنوان: "أغفو على اسمك يا بلادي" وهي قصيدة في الدفاع عن الأرض.. حيث شاهدتهُ يغنيها على موقع : "يو تيوب" "u.tube" وهنالك موقع لكاظم الساهر اختاروا وانتقوا عدَّةَ قصائد لي ووضعُوها على هذا الموقع الجميل..

• أنتَ سابقًا كنتَ تشاركُ كثيرًا في المهرجانات والندواتِ المحلية... ولكن في الفترةِ الأخيرة خفَّ وتقلصتْ مشاركتكَ في الندواتِ والمهرجاناتِ الأدبية... لماذا؟؟

- ما زلتُ أُدعى كثيرًا للمهرجاناتِ والندوات الأدبية والشعريةِ في البلاد... ولكن لا أشاركُ إلا في القليلِ منها بسببِ ضيقِ الوقتِ لأنني ما زلتُ أعملُ يوميًّا بالناصرة ومشاغل الحياة لا تتسع لها الحياة.

• طموحاتكَ ومشاريعُكَ للمستقبلِ؟؟

- أطمحُ إلى إصدارِ كتابي الناجز- تحت عنوان:
"شفيق حبيب شاعرًا في مرايا النقد"...
وأطمحُ بعد ذلك إلى إصدارِ مذكراتي الشخصيَّةِ، وعندي الكثيرُ ممَّا أقولُ: أدبيًّا وسياسيًّا واجتماعيًّا....

• كلمةٌ أخيرة تحبُّ أن تقولهَا في نهايةِ اللقاء؟؟

- أرجُو أن يطولَ بيَ العمرُ لأستطيعَ أن أقدِّمَ المزيدَ من الإبداعات الأدبيةِ التي نذرتُ عمري ومبادئي لأجلِهَا وأن يتحقق السلام العادل وعودة حقوق شعبنا إلى أصحابها....

وأخيرًا: أشكرُكم على هذا اللقاءِ وأتمنى لكم دوامَ التقدم والنجاح...

موقع : ديوان العرب

موقع : البيان